الطاغية الاعرج

(قصة واقعية)

هبط القرية يجر نفسه ويتحامل على عصاه الغليضة التي اعتاض بها عن رجله المكسورة فبانت — هذه العصا — رجله الثانية رغم انها من عود !

فهرع أهل القرية يرجون له عبارات التهاني والترحاب ممزوجة بالاستغراب والدهشة مقرونة بشيء غير قليل من الحيرة والتطلع الى هذه المفارقة العجيبة ، رجل ذهب الى تونس سليما فرجع مكسور الرجل ! ! ما هذا ؟ أالذي يذهب الى الزيتونة ليتهل من علمها الصافي ، يصيبه ما أصاب هذ الرجل؟ — أعوذ بالله — هل في الزيتونة عربات جر تدوس الاقدام ؟ ! أم فيها جمال شوامخ يلقى منها التلاميذ ؟ ! عجبا انه لشيء عجيبا . . .

جالت بخواطرهم شتى الانفعالات ، ارتسمت على وجوههم مختلف الاستفهامات ، ومالوا برؤوسهم يهمهمون ويتمتمون . فلاحظ الرجل منهم ذلك — وكان ذكيا جدا — فطرد عنهم تلك الشكوك بقوله : ايها السادة كان في الحسبان ان ابادر فأعلمكم بسبب ما اصاب رجلي من كسر ولكن — في الحقيقة — وجدته امرا لا يستحق هذا الاهتمام كله فقد عوضني الله شيئا حسنا من الرجل والنفس عوضني من ذلك كله شفاء ومعرفة الدين أليس في هذا خير كثير ! . . فقال القوم : بلى . . . بلى . . . انك لمحظوظ . . . كان ذلك في باب السويقة بتونس اذ كنت امشي واذا بعربة ثقيلة تدوس قدمي فلم أشعر الا وانا في المستشفى ورجلي مفصولة عني . فهمهم القوم اعوذ بالله . . . وتابع كلامه : لم يحزنني ذلك وكيف احزن وانا قد نلت بغيتي وتممت دراستي بالزيتونة العامرة وها انا ذا ارجع اليكم والأمل يهز جوانحي ان اراكم منكم انقيادا واستجابة للعلم والاصلاح . فصفق القوم في فرح ظاهر وتصايحوا : اي . . . اي . . . وكيف لا . . . هذا منتهى ما تصبو اليه نفوسنا ثم ودعوه على أمل اللقاء . . . ومن الآن يجب ان نحترم شعور الرجل فندعوه « بالشيخ » فهو اللقب الرسمي لأمثاله بعد ميادهو في الوقت نفسه قد قام يدعو للعلم والاصلاح بحماس شديد وثبات قوي .

ولكن — والأسف — لم يجد آذانا صاغية وقلوبا واعية . فالقوم قد انفضوا من حوله وتركوه وحده يقلب كفا على كف وانتابه هم ثقيل ! أهذه هي النتيجة ؟ أهذا جزائي ؟ اهكذا تنكر علمي في مثل لمح البصر ؟ اذن فلنترك هؤلاء البلداء ولنفارقهم بسرعة ، ولكن هذا مستحيل ! فراق هذه البلدة ، معناه موتي فهي مستحيل وطيب . . فهذا الهواء الرائق وهذه عرائس النخل المتأودة وهذه البساتين الجنية وهذه الحياة العذبة وهذه المناظر الطبيعية الخالبة للألباب ، كلها تجذبني نحوها .

صحيح انني لست من سكانها الأصليين وليس لي حق الاقامة فيها . ولكن من هذا فلا داعي لمغادرتها بل يجب ان يغادروها هم لأنهم لم يقدروها حق قدرها ولم يستطيعوا الانتفاع بخيراتها ، نعم انا الجدير بها منهم فهم لا يصلحون الا خدما وعبيدا .

ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟ وما هي الوسائل التي اعتمد عليها لبلوغ هذه الأمنية وهناك العرج — اعوذ بالله — من هذه العلة المنفرة والعاهة المزمنة ، فأقل ما تجلب السخرية والاشفاق . أفي ثم الفقر — قاتله الله — ما أقذاه من عدو لدود وددت ان لو تمثل لي بشرا لأذقته كأس العذاب وجرعته سم الموت الزعاف ! . . . وهكذا ذهب « الشيخ » يحاور نفسه على هذا المنوال وإذا به يصيح : لا لا . . . يجب ان أنتفع بعلمي بذكائي بدهائي بكل مالي من ملكات . . .

فالعلم ان لم يجلب منفعة عاجلة فليس بعلم والذكاء ان لم يوفر على صاحبه حياة مترفة رخية فأجدر به ان يسمى بلادة وغباء والدهاء ان لم يرفعك الى اعلى الدرجات فأليق به ان يدعى خمولا وشقاء .

ولتخرج للحياة بقلب جديد وروح ثائبة ونفس طموح ! ولتطرح عنا ما ألفناه من غير وعي من ألفاظ جوفاء خالية من كل معنى : ضمير خير فضيلة صدق فهذه كلمات لا تساوي في دنيا الواقع شيئا كان يجب ان تسمى : منفعة مادة خبث مكر ملق فهذا هو الوضع الصحيح لها ولعل علماء اللغة هم الذي غلطونا . . . هذا هو الواقع فيجب أن نساير الواقع وهذا هو معيار الاشياء عند الناس فلم لا نأخذ به ما دام يصل بنا الى قمة المنفعة فالغاية تبرر الوسيلة كما يقولون !

اخذ (الشيخ) يطبق هذا البرنامج بكل دقة وعزم ، وهو لا يعوزه المكر فأصل يذري النفوذ واصحاب الجاه طمعا في الوظيف وسلاحه النفاق والتزوير والتجسس لفائدة الاجنبي المستعمر واستعمل كل حيلة لذلك .

وهاهي الوظيفة تسعى اليه في اثوابها الزاهية البراقة التي تعشي العيون ، فيرقص لها قلبه طربا فيقيم لها الأفراح والأعراس الصاخبة وهاهي الوفود تؤمه فتؤدي له فروض الطاعة والولاء بعد ان ازورت وصعرت خدها عليه فالرؤوس تنحني له في خشوع وتنخفض بعد الشموخ والتعالي والأموال تتدفق في خزائنه بعد ان كان لا يعرف للدرهم وجها .

واذا قليطرح عنه ذاك اللقب البغيض لقب (الشيخ) فليذهب الى غير رجعة فهو لقب اللهانة والذلة والفقر ، فقد اصبح (عمدة) اي (عمودا في لحاة الأمة) وان كان هذا اللقب لا يؤدي المعنى تماما فالألقاب في الجزائر من طراز آخر ومفاهيمها تخالف مفاهيم ما يعرفه الناس من معنى اللقب وخصوصا مثل لقب حضرة المتوظف هذا وهو يدرك لماذا لم اصرح بذلك ! ! فهو اشهر من نار على علم كما يقولون . . . فجماع المصائب كلها هو هذا (اللقب) فمعناه الغضب والظلم ، والجبروت ، والاستحواذ والاستعباد . . . الخ . . . الخ . .

غرق حضرة (العمدة) في وظيفته الى أذنيه وعب من أباريقها ما طاب له واستمرأ لذاتها الحلوة ولم يكن يعكر عليه متعته الا خاطر واحد امر واحد اقض مضجعه ، هذا الأمر هو وجود هؤلاء الاغنياء بجانبه فانهم لا يؤثمنها ابدا ومن اخلاص وولاء ، قدح زناد فكره فبرق برأسه خاطر جريء لماذا لا ينتفع بالسياسة ؟ أليست السياسة في الجزائر تتركز في الفقر والتفرقة والتجهيل ؟ ! سره هذا الخاطر جدا وراح يمهد السبيل لذلك ، فاشترى من بعض الجهلة ضمائرهم ، وفتح باب الارتشاء على مصراعيه واستحل كل حرام ففتحت دور للقمار وتعددت السرقات والفتن بشكل مزعج وهو الرابح في كل ذلك واصبح بعد عشية وضحاها يملك أكثر ما يملكه سكان القرية ، ثم خطا خطوة اخرى فسد في وجوه القوم ابواب العلم والثقافة وهددهم بالحكومة وزرع في قلوبهم البغضاء والكراهية بآثار فيهم من نعرة قبلية وشعوبية مقيتة وحماسة جاهلية خبيثة .

استحكمت هذه العلل المزمنة في نفوسهم وبات المواطن يكره ان يقع نظره على مواطن واخذ العيون تبغي الشر والفتن وبث فيهم عيونه الراصدة تلتقط كل نأمة وتتلقف كل كلمة تسترقها آذانهم واجتاح القرية خوف قاتل فأصبحت وكأنها في حرب مستعر اوارها واذا النفوس قلقة والقلوب واجفة والعقول تتأرجح في غياهب من الشك لا آخر لها واذا الوهم يجسمه لهم في صورة شبح قاتم وروح شرير يطاردهم في كل مكان . . !

فطفت على النفوس موجة من اليأس قاتلة فاستسلموا له استسلاما كليا فتحكم فيهم كيف يشاء يذل هذا ويرفع ذاك وهو في كل ذلك انما ينكل بالمجتمع والناس في دهشة من امره وامرهم ، وما راعه الا وجماعة تتململ من هذا الجبروت ثم تجاهر بالعداء ثم تنازله الحرب سافرة فيضحك ويبتسم استخفافا بهذه الحزمة من القش كما سماها .

ولكن الجماعة اظهروا مهارة في الحرب فراوغ وهدد ولكن لم ينفعه ذلك وضاق ذرعا بهذه الحركة ، فطبل وزمر ورماهم بكل جارحة وقال لأسياده : ان هؤلاء قوم مارقون كفرة الى آخر ما رماهم به ، واذا الحوادث تجري وتجري بسرعة كشريط الخيالة واذا به آخر الأمر يجد نفسه في الصراء مكتوف الأيدي والصفعات تنهال عليه من الأيدي التي ما تعودت الا التحية ، واذا بالركلات والصفعات تنتال عليه دراكا وهو ساكن مستسلم ثم ... ثم القوا به بعيدا بعيدا... وقالوا له : ابتعد عنا يا خبيث (البراني برا) .

لله من ابطال مغاوير لقد ازلتم تلك الجرثومة وبيدكم وسحتموها بيديكم القوية طار الذل الذي طالما وسخ جدران تلك القرية الطاهرة .

قال محدثي : هكذا الجزائر يا أخي : رزؤها من أبنائها فهم اشد عليها وقعا من الأجانب فداؤها من نفسها ، لا من خارج يجب ان تطهر من هؤلاء الأدعياء الذين يتسببون لها فتنا لهم وسحقا .

تونس عبد الله ركيبي

* بقية الصفحة الخامسة *

انفاسه في حجرها . ولم يمر اسبوع على الطبيب وهو طريح الفراش في المستشفى حتى لفظ انفاسه ولحق بالرفيق الأعلى . وكانت جنازته بسيطة لم يمش فيها الا نفر من المغاربة لا يتجاوز العشرة ولكني رأيت ملائكة الرحمة كلها وارواح الشهداء والصالحين تمشي في جنازته وتنزفه الى الجنان . وزرت قبره في « القرافة » فاذا هو مهجور لا تبدو عليه العناية التي يسبغها المصريون على قبور موتاهم فلم أسأ من ذلك لأني اعتقد ان الطيب ليس هناك ولكن في فراديس ربه وفي قلوب الأمة التي مات شهيدا في سبيلها .

القرارة ميزاب محمد علي

تجديد شعبة جمعية العلماء

يحيى تيليملي العاصمة

عبد الكريم العقون رئيس
الأخضر زغاد نائبه
عمار دروق كاتب أول
الشيخ البشير بورح نائبه
بوساعد سي سماعيل أمين المال
البغدادي قادة نائبه
الشيخ بن يوسف قاده مراقب
نقمري بن علي نائبه

اعضاء مستشارون :

ابراهيم بن عبيد ، مبارك بركي ، المهدي بن الصديق حموده بوكرس احمد بن احمدي محمد قاده محمد عصماني ، قدور احميده لعمار مبارك .